

هل سيحصل أي إصلاح سياسي في عهد ولي العهد السعودي الشاب؟



د. عبد الحميد فجر سلوم

اهتمامٌ كبيرٌ رافق حديث ولي العهد السعودي، يوم 27 نيسان 2021 ، بمناسبة مرور خمس سنوات على رؤيته 2030 ، للنهوض ببلاده ..

طموحاتٌ كبيرة جداً، نتمنى أن تتحققّ، ونتمنى للسعودية ما نتمناهُ لأي بلدٍ عربيٍّ شقيقٍ من تقدم وازدهار، شرط أن ينعكس ذلك على حياة شعوبهم، وليس فقط على جيوب وحسابات المسؤولين، لزيادة رفاهيتهم وبذلهم وترفهم ..

تمحور حديثولي العهد حول الجوانب الاقتصادية والسياسية والدينية..

هناك من اهتمّ وا بالجانب الاقتصادي في حديثه، كما الصين ودولٌ أخرى.. وهناك من اهتمّ وا بالجانب السياسي، كما إيران وأطرافٌ دولٌ أخرى.. وهناك من اهتمّ وا بالجانب الديني كما الأزهر وسواه..

في الجانب السياسي لم أرى أي ذكرٍ لقضية فلسطين.. ولا لأي مشروع سياسي إصلاحي.. كان هناك غزلٌ نحو إيران، ونحو الحوثيين، بعد ست سنوات من الحرب المُدمّرة.. لا أدري إن كان هذا اعترافٌ بفشل أهداف الحرب..

**

من خرجوا على الشاشات الخليجية، والمُموّلة خليجيا، حينما فوجئ العالم بـ(عاصفة الحزم) في أواخر آذار 2015 يُشيدون ويدعمون بقوة قرار الحرب، وأنها ستعيدُ الهيبة لدول الخليج، وتُرْهِب من يقترب منها ويتعدّى على سيادتها ويُشكّل خطراً عليها، هُم أنفسهم من خرجوا ليؤيدوا السلام ووقف الحرب، بعد أن أدركوا الفشل ودون أن يتحقق مثقال ذرّة من توقعاتهم.. بل على العكس، إن كانت هناك بقية من هيبة، فقد ذهبت، وتمكنـت فئة من الحوثيين بـ(الميليشيا) من إرها بهم وتخويفهم، وحبس أنفاسهم لدى كل صاروخ يُطلق على الأراضي السعودية الواسعة جداً.. فكيفَ لو أُطلقت الصواريخ نحو الأراضي الإماراتية الضيقة..

أبو ظبي أو دبي لا تحتمـل كلّـ منها صاروخ، فترتعبُ الناس.. وخاصّةً إن أصاب محطة توليد كهرباء، أو محطة تحلية مياه..

هذا رغم أنـي أتألم كما أي عروبي مما حصل ويحصلُ في اليمن وانتهـاك ما تمَّ الاتفاق عليه، واستعمالـ الحرب بين أبناءـ البلد الواحد، والتدخلـ الخارجي.. ولستُ الآن بـصدد تـفنـيدـ من هو المُتسـبـب..

**

نـتعلـمُ السياسـة بـحرـقـ الأوطـانـ والـشـعـوبـ، ثمـ نـصـحـوـ وـندـعـوـ لـالـسـلـامـ وـالـوـئـامـ وـالـمحـبةـ..

زُشكّـلـ التنـظـيمـاتـ الـديـنـيـةـ وـنـحـشـوـ عـقـولـهـاـ بـالفـكـرـ الـمتـطـرفـ، وـزـدـرـبـهـاـ وـنـمـوـلـهـاـ وـنـسـلـهـاـ، وـنـرـسـلـهـاـ

للحجـاد ضدـ الكـفار والـمشرـكـين، وـبعدـ أنـ يـرتدـ خـطـرـهاـ عـلـيـنـاـ، نـصـفـهـاـ بـالـإـرـهـابـ وـنـحـارـبـهـاـ..

فيـ الجـانـبـ الـدـينـيـ لـمـ يـأـتـ وـلـيـ الـعـهـدـ بـجـدـيدـ، وـإـنـماـ كـلـ مـاـ أـشـارـ لـهـ سـبـقـهـ إـلـيـهـ الشـيـخـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـوـهـابـ فـيـ النـصـفـ الثـانـيـ مـنـ الـقـرـنـ الثـامـنـ عـشـرـ، وـالـذـيـ أـثـارـ اـنـقـسـامـاتـ كـبـيرـةـ دـاخـلـ الـعـالـمـ إـلـاسـلـامـيـ، فـهـنـاكـ مـنـ اـعـتـبـرـوـهـاـ أـفـكـارـاـ مـتـطـرـفـةـ وـغـيـرـ صـحـيـحةـ، وـهـنـاكـ مـنـ اـعـتـبـرـوـهـاـ أـفـكـارـاـ تـنـوـيرـيـةـ وـتـجـدـيـدـيـةـ..

فـهـوـ دـعـاـ إـلـىـ عـدـمـ زـيـارـةـ الـقـبـورـ، أـوـ التـبـرـُكـ بـهـاـ، وـإـلـىـ تـدـمـيرـ الـأـضـرـحةـ وـالـشـواـهـدـ الـمـبـنـيـةـ عـلـيـهـاـ، وـعـدـمـ التـضـرـُّعـ عـلـىـ عـبـرـ الـأـوـلـيـاءـ وـالـأـنـبـيـاءـ، وـأـنـ مـنـ يـتـوـسـلـ عـلـىـ بـالـنـبـيـ مـُحـمـدـ فـقـدـ كـفـرـ.. وـيـجـبـ التـوـجـُّهـ مـبـاـشـرـةـ، وـأـنـ كـتـابـةـ التـمـيـمةـ وـمـاـ شـاـبـهـاـ هـيـ خـُـرـافـاتـ، وـأـنـ النـذـذـرـ يـجـبـ أـنـ يـكـوـنـ عـلـىـ فـقـطـ وـلـيـسـ لـأـحـدـ مـوـاـهـ.. وـرـفـضـ تـقـديـسـ الـأـشـخـاصـ.. الـخـ..

وـكـانـ أـوـلـ مـنـ خـالـفـهـ أـخـيـهـ الشـيـخـ سـلـيـمانـ الـذـيـ سـأـلـهـ (حـسـبـ الـمـرـاجـعـ)ـ: كـمـ أـرـكـانـ إـلـاسـلـامـ يـاـ مـحـمـدـ؟ـ فـقـالـ خـمـسـةـ.. فـقـالـ أـخـيـهـ: أـنـتـ جـعـلـتـهـ سـتـّـةـ.. السـادـسـ: مـنـ لـمـ يـتـبـعـكـ فـلـيـسـ بـمـسـلـمـ، هـذـاـ عـنـدـكـ رـكـنـ سـادـسـ لـلـإـلـاسـلـامـ..

وـأـمـاـ الشـاعـرـ السـوـرـيـ أـدـوـنـيـسـ فـكـانـ مـنـ بـيـنـ مـنـ اـعـتـبـرـوـهـاـ الشـيـخـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـوـهـابـ (مـُـفـكـِـراـ وـإـمـاـ ماـ نـهـضـوـيـاـ كـبـيرـاـ)ـ وـذـلـكـ فـيـ الـكـتـابـ الـذـيـ أـصـدـرـهـ (بـالـاشـتـراكـ مـعـ زـوـجـتـهـ الـأـدـيـبـةـ الـمـعـرـوـفـةـ)ـ وـذـلـكـ ضـمـنـ سـلـسلـتـهـ الـمـُـسـمـّـةـ (دـيـوـانـ الـنـهـضـةـ)ـ وـخـصـصـهـ فـيـ جـزـءـاـ عـنـ (الـشـيـخـ إـلـإـمـامـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـوـهـابـ)ـ..

أـكـدـ وـلـيـ الـعـهـدـ السـعـودـيـ أـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ هـوـ دـسـتـورـ الـمـمـلـكـةـ، وـلـاـ يـؤـخـذـ إـلـاـ بـالـأـحـادـيـثـ الـمـتـوـاتـرـةـ عـنـ الرـسـولـ (صـ)ـ جـمـاعـيـاـ وـلـيـسـ أـحـادـيـاـ أـوـ إـفـرـادـيـاـ.. وـهـذـاـ لـيـسـ بـفـكـرـ جـدـيدـ، طـرـحـ مـنـ طـرـفـ هـيـنـائـ إـلـاسـلـامـيـةـ وـشـيوـخـ مـسـلـمـيـنـ كـثـيـرـونـ..

الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ مـُـعـتـبـرـاـ دـسـتـورـ لـلـمـمـلـكـةـ مـنـ قـيـامـ الدـعـوـةـ الـوـهـابـيـةـ فـيـ بـلـادـ نـجـدـ، وـاـتـفـاقـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـوـهـابـ وـمـحـمـدـ بـنـ سـعـودـ عـلـىـ أـنـ يـؤـمـنـ الـثـانـيـ بـدـعـوـةـ الـأـوـلـ الـسـلـفـيـةـ، وـأـنـ يـؤـمـنـ الـأـوـلـ بـزـعـامـةـ الـثـانـيـ عـلـىـ الـبـلـادـ..

وهكذا تأسست الدولة السعودية الأولى إلى أن حاصرتها في عام 1818 القوات العثمانية بقيادة ابراهيم باشا، ودمرتها ..

إلا أن التحالف الوهابي السعودي أسس الدولة السعودية الثانية ولكنها سقطت بسبب المراعات والحروب الداخلية عام 1891 ..

ثم قامت الدولة السعودية الثالثة أوائل القرن العشرين واستمر التحالف السعودي - الوهابي ..

إذا في كل تلك المراحل كان الدستور هو القرآن الكريم.. ولكن لو تأملنا بالقرآن ومعانيه، وحتى عقيدة الإسلام عموماً، فهل هناك ما يسمح بحياة الرفاهية والبذخ والترف وحياة القصور الفاخرة والبادحة والجواري،

وشراء البيخوت الخاصة والطائرات الخاصة، بمليارات الدولارات بينما مئات ملايين المسلمين عبر العالم يتضورون جوعاً ..

وهل هناك ما يسمح باحتكار السلطة وحصرها بأسرةٍ واحدةٍ تتوارثها أباً عن جد، وهل هناك توريثُ للحكم بالإسلام؟. هل الرسول (ص) ورث أحداً من أهله؟.

وهل من الخلفاء الراشدين من كانت تغتصب عيناهُ وأحدُ من رعيتهِ جائعاً أو مظلوماً؟.

**

يُروى عن الإمام علي^{رض} (رضي الله عنه) قوله: لو كان الفقر رجلاً لقتله ..

ويُروى عن رسول كسرى الذي جاء إلى المدينة لمقابلة خليفة المسلمين عمر بن الخطاب، فسألَ عن قصره، فدلَّلَهُ على بيته، فرأى ما هو أدنى من بيوت الفقراء، ووجدهُ نائماً بملابس بسيطة تحت ظلّ شجرةٍ قريبةٍ، فقالَ مقولتهُ الشهيرة: حكمتَ فعادَلتَ فأمنتَ فذمتَ يا عُمر..

**

ليس المطلوب من ولـي العهد أن يـسـير على خـطـى فـولـتـير ولا جـاـن جـاـك روـسوـ، وإنـما فـقـطـ أن يـحـقـقـ بـعـضـ الإـلـاـحـ السـيـاسـيـ في بلـادـهـ، ويـطـلـقـ الحـرـيـاتـ الـعـامـةـ، وـتـخـلـوـ السـجـونـ مـنـ مـعـتـقـلـيـ الرـأـيـ، وـلـاـ تـمـّـ مـلاـحـقـةـ الليـبرـالـيـاتـ السـعـودـيـاتـ وـالـتـصـيـيقـ عـلـيـهـنـ، وـلـاـ يـلـاحـقـ الـمـنـتـقـدـونـ حـتـىـ خـارـجـ الـبـلـادـ وـيـحـاسـبـونـ شـرـ حـسـابـ.. وـفـسـحـ المـجـالـ أـمـامـ المـشـارـكـةـ الـعـامـةـ فـيـ الـحـكـمـ، وـلـاـ يـقـتـصـرـ عـلـىـ أـسـرـةـ وـاحـدةـ.. دـسـتـورـ الـقـرـآنـ لاـ يـسـمـحـ بـذـلـكـ..